تجليات انكسار الذات في بغداديات المعري

الدكتور
علي عبد الإمام مهلهل الاسدي
جامعة ذي قار - كلية الآداب

تجليات انكسار الذات في بغداديات المعري

الدكتور
علي عبد الإمام مهلهل الاسدي
جامعة ذي قار - كلية الآداب

الملخص

بغداديات المعري فيض تلقائيّ لمشاعر أبي العلاء الحزينة المتوجسة ، وإفضاء لذاته المنكسرة المنخذلة ببغداد ، فهو يرتكز في بنائها على أساس نفسي وجداني ، وقد تبلور هذا الإحساس بنسق جلي في مجمل مفاصل النص العلائي البغدادي . ونتيجة لما لاقاه ببغداد عزم وهو بها على عزلته الشهيرة ، وعاش بقية عمره ناقداً محرضاً ، وساخطاً ناقماً على الدنيا وناسها ، بعد ان تحصن في عرينه الآمن (معرة النعمان) لتعرية ما وقع عليه من حيف ، وما ناله من ذل وهوان ببغداد .

مدخل :

البغداديات❖ قصائد نظمها أبو العلاء المعري ببغداد ، تميّزت بأسلوبها المحكم ، ونسجها المتين ، ولغتها الشعرية الدلالية الموحية الباعثة على الشوق والغربة والحنين والانكسار ، وإيقاعها الموسيقي الآسر المتساوق مع الأفكار والمعاني ، المتجاوب بنغماته ونبراته مع حالات النفس العلائية الحائرة الحزينة ، إنها فيض تلقائي لمشاعره المتدفقة ، وإفضاء لذاته الكمدة المنكسرة. فهو يرتكز في بنائها على أساس نفسي ، يلحُّ عليه ويعمقه في إسقاطاته ورموزه وصوره.

وإذا كان أبو العلاء حين زار بغداد ، شديد الحزن على بلدته (معرة النعمان) وناسها لا يسليه عنها الكرخ وما فيه من ماء عذب وظلّ ظليل ، ومن علم جمّ ، وأدب غضّ ، وإذا كان – أيضاً – إصفار يده من المال ، وعزّة نفسه عن سؤال الناس ، عوامل تزيد في كآبته وانكسار ذاته ، فان الباحث في رحلته وشعره يقف عند عامل آخر – هو الأهم – ضاعف في ذاته هذا الانكسار ، وأذكى فيها هذا الأسى ، وهو ما لاقاه من مواقف مجحفة من بعض علماء بغداد وأدبائها ، فأنشأ ببغداد قصائد مفعمة بالشعرية ، هنّ الجياد الغرّ في ديوانه (سقط الزند).

لذا أحسب أنّ رحلة المعري إلى بغداد نقطة تحوّل مهمة في حياته وأدبه ، انها منعطف بارز غيّر كثيراً من سيرة أبي العلاء ، ونفسيته وسلوكه المتفرد. ولا أغالي إن قلت : لو شاء للمعري أن يطيب له المقام ببغداد ((وقد كان عازماً على أن يقيم فيها آخر الدهر))[1] وأن يحقق أهدافه، ويظفر بما كان يصبو إليه من علم وشهرة وخفض العيش، ولو سلم مما تلقاه به البعض بما يكره ، لتغيّرت فلسفته في الحياة ، ونظرته إلى المجتمع ، بشكل ملحوظ ، ولأُلغي كثيراً من لزومياته – التي نظمها بعد العودة – ، وإن لم أقل جميعها.

وَلخرج بديوان آخر ، أو بنتاج آخر ، يقرأه القارئ فلا يهجس في خاطره ذكر المعري المعهود في لزومياته ؛ لأن تلك الرحلة – التي قضى فيها المعري زهاء سنة ونصف - رسّخت في ذاته أمراض النفس الإنسانية ومثالبها ، التي كان قد شخّصها ، من حسد وغيرة ، وتهميش ورياء ... لاسيما أنه كان دقيق الحس ، شديد الفطنة ، كثير الشك، لا تكاد تمر به حادثة إلاّ أشبعها بحثاً وتأويلاً ، وربما فهم من همس الشفاه ، ونبرة الكلام ، أكثر مما يفهمه البصراء ، لذلك قرّر أبو العلاء اعتزاله الناس ، وانفراده عنهم وهو ببغداد ، كما يتبيّن ذلك من رسالة كتبها إلى خاله أبي القاسم ، يقول فيها : ((ولمّا فاتني المقام بحيث اخترت ، أجمعت على انفراد يجعلني كالضبي في الكناس (مأوى الظبي) ويقطع ما بيني وبين الناس ، إلاّ من وصلني الله به وصل الذراع باليد ، والليلة بالغد ...))[٢]. وكتب إلى أهل المعرّة كتاباً وهو ببغداد صور فيه طبيعة حياته ، وحزنه ومعاناته ، وأخبرهم فيه عمّا أجمع عليه من العزلة ، وينهاهم عن زيارته عند وصوله مخافة ان يولوه ملاماً ، ثم بيّن لهم السبب الذي رحل من اجله إلى بغداد ، وما لقيه فيها من حيف وخذلان[٣]. وكتب – أيضاً – إلى أحد أشراف العلويين ببغداد موضحاً له ((ما عزم عليه من انفراد يحجزُ عن المراد ...))[٤].

لقد جرّب المعري مَن جرّب من الناس، فرأى أنّهم كلهم من طينة واحدة ، وطبيعة واحدة ، فقال وهو ببغداد[٥] :

جَرّبــتُ دَهْــري وأهليــهِ فمــا تَركَــتْ ... لِــيَ التجــاربُ في ودِّ امــرئٍ غَرَضــا

وقال بعد ان عاد إلى بلدته خائباً[٦] :

بُعــدي عــن النــاس بُــرْءٌ مــن سَــقامِهمُ ... وقــــرُبُهمْ للحجــــى والــــدينِ إدْوَاءُ

ثَمّة إذن وهنٌ بشريَ إنتاب المعري ببغداد – مهما حاول التصبّر – تحت وطْأت عوامل عدّة ليست على درجة متساوية من التأثير ، سيتناولها هذا البحث لعلّه يستطيع ان يجس أنفاس المعري الكمد ، ويستطعم ملح آهاته ، على ضوء بغدادياته التي دارت رحاها بين قطبي البيان والأشجان.

الذات الشاعرة وأزمة الحنين إلى الوطن

مثّل عشق الوطن الأم ، والتعلق بناسه ، قسطاً كبيراً من همّ المعري ولحنه الحزين ، فهو مداد لا تنفذ كلماته ، إذ شكّلت مناجاة الأرض وما يرافقها من مشاعر القلق والحنين ، ومشاعر الفقد والانفصال ، وعدم التجانس والتماسك مع الآخر ، نسقاً بائناً في بغداديات المعري ، تلك القصائد المنطوية على خيط شفيف ينتظم الكآبة ويعكس الانكسار في ذات المعري. إنها رحلة الشاعر المؤلمة، تتخطفه فيها أشباح الوحشة وظلماتها في ليل الأسى ، ففي همس شجيّ ، ومزاج متعكّر ، ورؤيا ممزّقة يستحضر في غربته كنف أسرته الآمن ، ومأوى قومه الحصين ، بعد أن حلّ بميدان مضطرم يموج بأعقد أزمات الفكر والمعرفة ، وأعنف صراعات السلطة والدين ، فقد إلتبس سلوك المفكرين الخيّرين من أهل الحكمة والورع ، بسلوك

المدّعين والمتسلقين والمنافقين الذين كانت تغصّ بهم حاضرة العباسيين المحتشدة – مثلما هو حادث في المدن الكبرى اليوم – فزاده نزوله في هذا الإعصار العاصف يأساً وأسىً ، وزاده استفزازاً وتقززاً ، فتضمّخت الذات العلائية الحائرة المتوجّسة ((بالضحكة الصفراء المؤتكلة))[٧].

ومن الجدير بالذكر أنّ الانكسار والخوف تسربا إلى ذات المعري وهو في طريقه إلى بغداد، وتحديداً عند خروجه من حيز الشام الجغرافي ، وركوبه سفينة بنهر الفرات ، بعد أن كان يمتطي ناقة بأرض الشام ، فقد تعرض إلى سطو مسلح مريع بالأنبار من أصحاب السلطان ، أو من العشارين ، سُلِبت على أثره سفينة المعري[٨]. وقد ذكر أبو العلاء تلك الحادثة المفزعة ووثقها في مواضع عدة من بغدادياته ، منها[٩] :

سارتْ فزارتْ بنا الأنبارَ سالمةً ... تُزجى وتُدْفَعُ في موج ودُفّاعِ[١٠]

والقادسيّة أدّتها إلى نَفَرٍ ... طافوا بها فأناخوها بجعجاعِ

مَطِيّتي في مكانٍ لستُ آمَنُهُ ... على المطايا وسِرحانٌ لها راعِ

فوصف ما عرض له في رحلته من هول ورعب ، ولا يخفى على المتلقي ما تحمله جملة (أناخوها بجعجاع) وجملة (سرحانٌ لها راع) من دلالات الهلع والفزع الشديدين ، فقد استشعرت ذات المعري في ذلك الحيز الزمكاني الصادم – بعد أن تلبسها الرعب الحقيقي – الحد الفاصل بين الخوف والاطمئنان ، والاغتراب ونعمة الأمان في رحاب الوطن الأم.

وبما إننا نستند إلى بغداديات المعري بوصفها نفحات سايكولوجية معبرة عن واقعه النفسي المأساوي المهيمن على ذاته ببغداد، لذا تبيّن لنا أن تلك القصائد تحمل ثيمة الجمع بين النقيضين: فتارة تشير إلى نفور الذات من المكان الجديد ، ورفضها إيّاه ، بوصفه مكاناً كئيباً يثير في النفس مشاعر القلق والانزعاج ، حيث ينتفي الشعور بالاستقرار والإحساس بالألفة ، لأنّ تقبل المكان أو رفضه مرتبط بشكل مباشر وأكيد بالحالة النفسية. وتارة أخرى تشير إلى المكان المحبب إلى الذات (الشام) بوصفه المكان الآمن ، موطن الطفولة ومرابع الصبا.وبين هذين المكانين تفضي الذات العلائية بإسقاطاتها النفسية سواء أكانت سلبية أم إيجابيّة.

ومتأمل لامية المعري التي نظمها حين وطأت قدماه أرض بغداد، يهجس فيها كآبة الوحدة ، ومرارة الغربة ، إنها مثال رائع للشعر الذاتي الوجداني الخالص ، بثّ فيها ما اعتمل في ذاته المكلومة من آهات وآلام ، فهي تقترب كثيراً من رثاء النفس ، وتبرهن على الشوق والوجد والبعاد وتشتيت الذات. وقد ظلّ التوتر النفسي ساري المفعول في كل مفاصل النص وجزئياته ، فأفاد في توفير الوحدة العضوية ، أو وحدة المشاعر والأحاسيس على طول النص ، وعمل على تماسك أجزائه.

قدّم المعري لقصيدته التي بلغت أبياتها واحداً وخمسين بيتاً ، بطيف خيال الحبيب ، ليأنس به في غربته، ويروّض به ذاته القلقة المنكسرة ، ويشدّ من أزرها لعبور الواقع المؤلم ، وذلك بتوظيف الإلهام

الذاتي لتفريغ المشاعر الفياضة ، والخواطر المحتبسة. وأحسب ان طيفه رمزٌ لوطنه ، ولأرواح أحبته وذكرياتهم الطوافة بمعرة النعمان . يقول(١١) :

مغـاني اللـوى مـن شَخْصِـكِ اليـومَ أطْلاَلُ ... وفي النـوم مغْنـىً مـن خيالِـكِ محْـلالُ

مغانيـــكِ شـــتى والعبـــارةُ واحـــدٌ ... فَزَنْـــدُكِ مُغتـــالٌ وطرفُـــك مُغتـــالُ

وأبغضــتُ فيـكِ النخـلَ والنخـلُ يـانعٌ ... وأعجـــبَني في حُبّـك الطلـحُ والضـالُ

وأهـــوى لجِـــرّاك السَّـــمَاوةَ والقَطـــا ... ولَـــو أنّ صِـــنفيه وُشَـــاةٌ وعُـــذّالُ

حَمَلْـتِ مِـن الشـامَيْنِ أطيـبَ جُرْعَـةٍ ... وأنزَرَهـــا والقـــومُ بـــالقفرِ ضُـــلاّلُ

....

صَـــحبت كَرَانـــا والركـــاب سَـــفَائِنُ ... كعـــادك فينـــا والركائـــبُ أجمـــالُ

ركّز المعري في قصيدته على موضوع واحد – لم يتجاوزه أو يحد عنه – أبدعت فيه أبياته ، هو الحنين إلى الوطن ، وما يثيره من لوعة وشجن ، فقد صوّر المعري بعيني قلبه ما لم يره أحد من المبصرين ، وشرب من رحيق وطنه ، في زمنٍ عزّ فيه الشراب ، وأصاخ السمع إلى أصوات القطا في سماء باديته القدسيّة ، وجمالها الصوفي بعد أن استطعم فيها حبات الطلح والضال ، ومجّ في غيرها (بغداد) حبات الرطب اليانع.

ولا تكتمل الصورة النفسية في الأبيات السابقة إلاّ بعد أن يربطها كلّها بتحيّة خيال المحبوب، فيقول :

تحيّـــة ودٍ مـــا الفُـــراتُ ومـــاؤُهُ ... بأعـــذبَ منهـــا وهـــو أزرقُ سَلسَـــالُ

وسنرى في أبيات أخرى من القصيدة، كيف ينساب هذا الشعرُ رقراقاً صافياً محمّلاً بالأوجاع ، كاشفاً عن أعماق صاحبه ، وهو يتأرجح بين كفتي **(الإقامة/والرحيل)** . فالقصيدة تنويع على اللحن الأساسي الحزين الذي يعزفه الشاعر للبوح عن غربته الباكية ، وهو يدعونا لعناق روحه الحسيرة وإلتقاط ما نستطيع إلتقاطه عبر أحاسيسنا ووجداننا. فنرى انها مجموعة من اللوحات التي تثير الحزن والخوف يختار المعري خطوطها وألوانها من الواقع الذي يعرفه ويستشعر أدق تفاصيله ، فهذه أفعى(١٢) قاتلة تعترض طريقه ، يحذر لدغها. وهذا أسد (أغلب رئبال)(١٣) يزأر عليه يريد افتراسه ، وذاك (ذئب عسال)(١٤) مضطرب محتال في مشيه يحاول غدره. إنه يغرق في التأمل فيذهب به في كل منحى ، وهو يعيش ببغداد بجسده ، ولكنّ قلبه وفكره متعلقان هناك بمعرة النعمان ونواحي الشام ، يجذبه الحنين بقوة إلى تلك الربوع ، فيأخذ منه كلّ مأخذ.

وتشدّنا حمامة المعرّي النائحة في هذه القصيدة لنقف معها قليلاً ، فهي مفجوعة ، منكسرة الخاطر ، تندب حظها العاثر كونها بين أُناس لم تأمن منهم الظلم ، وترى فيهم الخذلان. ومن المعروف أن ذكر

الحمام يشير إلى بنية نسقية مضمرة باتت هاجعة ومتجذرة في الثقافة العربية ، فهو يقترن عموماً بمواطن اللوعة والفقد والشوق والمكابدة ، وقد ذكر الثعالبي أن العرب ((تجعل صوت الحمام مرّة سجعاً ، ومرّة غناءً ، وأخرى نوحاً وتضرب به المثل في الإطراب والشجى))[١٥]. وترجع جذور دلالة صوت الحمام إلى واقعة تأسيسيّة حدثت في الزمن الأول ، عندما فقدت الحمامة فيه فرخها (هديل) بأن صاده طير جارح ، فمازال الحمام يبكيه ويندبه منذ ذلك اليوم[١٦]. لذا فإنّ حكاية الحمامة الأسطورية تكشف في بنائها وتمثلها عن حس الفجيعة المتأصل ، وتشكل طبقة عميقة مترسبة في أغوار الوجدان الجمعي ، تتحكم وتعمل من داخل النسق الثقافي الموروث على إنتاج رؤيا تراجيدية للعالم ، من حيث هو مسكون بشرٍ انطولوجيٍ يتخلل قوامه ويطبق عليه.

لقد وظف المعري مشهد الحمامة – هنا – وعوّل عليه في تكثيف الدلالة ، وشحن الموقف بالشوق والحنين ، ومكابدة البعد عن الموطن الأصل ، فتلقى صوتها نواحاً وعويلاً وإرناناً ، لأنّ فيه أدلّة على عظيم الحسرة ، ومُرْمض الأسف والمنازعة[١٧].

يصور المعري حمامته التي هتفت بدار سابور ، وهي دار العلم التي بناها الوزير أبو نصر سابور بن اردشير لأهل العلم ببغداد ، فيقول[١٨] :

وَغَنّـــت لنـــا في دار ســـابُورَ قينـــةٌ ... مِـــنَ الـــوُرْق مطـــرابُ الأصـــائل ميهـــالُ

رأتْ زَهَـــراً غضّـــاً فهاجـــت بمَزْهَـــرٍ ... مَثانيـــه أحْشَـــاءٌ لَطُفـــنَ وأوصـــالُ

فقُلـــتُ تغنّـــي كيـــف شِـــئت فإنّمـــا ... غِنـــاؤكِ عنـــدي يـــا حمامَـــةُ إعْـــوَالُ

وتحسُـــدُكِ البـــيضُ الحَـــوالي قِـــلادةً ... بجيـــدكِ فيهـــا مـــن شـــذا المِســـكِ تمثـــالُ

ظَلَمـــنَ وبيـــت الله كـــم مـــن قـــلادةٍ ... تُؤازرهـــا سُـــورٌ لهُـــنّ واحجـــالُ

فأقســـمت مـــا تـــدري الحمـــائمُ بالضـــحى ... أأطـــواقُ حُســـنٍ تلـــك أم هـــي أغـــلالُ

وهكذا اتخذ المعري من هذا الطائر وسيلة للتعبير عمّا استُبطن في الذات من مكنون نفسي مؤلم ، فما أعلنته الحمامة من نوح وعذاب هو المكافئ الخارجي لانفعال الذات الداخلي ، وكأنّ ما تصدره الحمامة ينسجم مع ما يكنه الشاعر في نفسه من انكسار وخيبة متّخذا منها معادلاً موضوعياً لذاته ، مسقطاً عليها ما يختزنه في دائرة اللاشعور من حزن دفين ، فتمتزج الذات بالموضوع ، ويشرق الرمز الذي يمثل علاقة الإنسان بالشيء ، وعلاقة الفنان المرهف الذي يحقق قوانين الوجدان وقوانين الطبيعة معاً[١٩].

وإذا كان المعري في ما مضى من أبيات يسخّر شفرته الفنيّة في استدعاء بعض الصور والرموز والمشاهد الموحية ، بوصفها المعادل الرمزي لحزنه وانكساره وألمه ، فإنه في أبياته القادمة من القصيدة ذاتها ، يطلق آهاته بعفوية واضحة ، فتطفو على سطح النص ، بلغة سهلة ليّنة صادقة تكشف عن أعماق ذاتها التعبة ،

وكأنّه خسر المعركة في بدايتها ، وقد حمل مع متاعه إلى بغداد أحزانه العميقة ، إذ كان يكفيه سكينةً ببلدته معرّة النعمان ، أن يسمع في سكون المساء – وهو جالس وحده – أصوات النساء والأطفال من بعيد وهم يجنون ثماراً ، أو يسوقون ماشيةً ، ويكفيه اطمئناناً وهو يصغي إلى ابتهالات أمه العطوف ، أو يمسك بأطراف أناملها الندية ، وهي تقوده إلى جوار الموقد ، ويكفيه استئناساً أن تحمل له الريح نغماً جميلاً من نايّ ينفخ فيه راعٍ في جنح الليل. لذلك قدّم نفسه في غربته عاجزاً قليل الحيلة خائر القوى ، يقف على شفا جرف من العذاب ، متلبساً بالهمّ ليل نهار ، وهذا ما يبدو جليّاً في أبياته[٢٠] :

تَمَنّيــتُ أنّ الخمَــر حلّــت لِنَشْــوَةٍ ... تُجَهّلُــني كيــفَ اطمَأنــت بــي الحــالُ

متــى ســألت بغــدادُ عنّــي وأهلُهــا ... فــإنّيَ عــن أهــل العواصِــم سَــآلُ[٢١]

إذا جَــنَّ ليلــي جُــنَّ لُبّــي وزائِــدٌ ... خُفُــوقُ فــؤادي كلّمــا خفــقَ الآلُ

ومــاءُ بِــلادي كــان أنْجَــعَ مَشْــرَباً ... ولــو أنّ مــاء الكــرخ صــهباءُ جِريــالُ[٢٢]

ويستمر المعري بالإفصاح عن معاناته ، وعدم تماسكه مع الآخر (المضيّف) إلى أن يصرخ بأعلى صوته منادياً :

فيــا وطــني إنْ فــاتني بــك ســابقٌ ... مِــن الــدهر فلْيَــنْعَمْ لِســاكِنك البــالُ

وإنْ أســتطعْ في الحشــر آتِــكَ زائــراً ... وهيهــاتَ لــي يــوم القيامــةِ أشــغالُ

وإذا كان أبو العلاء قد لفت انتباهنا إلى انكساره وخيبته في قصيدته الأولى – بعد أن حلّ ضيفاً على بغداد – وأشعرنا بآفاقه الوجدانية الحزينة التي لا تحدّها حدود ، فإنّه في بغدادياته الأخرى ، لاسيما الأخيرة التي نظمها في تلك الليلة الباردة ، وهو في طريق العودة إلى معرّة النعمان ، يثيرُ فينا كلّ ما هو سام وراق من الأحاسيس ، ولن يصرفنا شيء عن حديثه المؤثر وشعره الرقيق ، وسنجد أنفسنا نترنم بأبياته الذاتية التي تناغي الوجدان الجمعي ، وتهيم معه في عالم العزّة والمنعة والحنين إلى الوطن ، كلما ابتعدنا عن ديارنا وربوعنا ، وكلما آذت أسماعنا الكلمات السمجة البعيدة عن الحس الإنساني الشفيف.

لقد أناخ المعريّ جماله – ومعه أصحابه – في كرخ بغداد في انتظار الصبح لمباشرة الرحلة عائداً إلى دياره ، وقد هرب النوم عن جفونه في هذه الليلة ، هَرَب الأمن عن فؤاد الجبان ، لأنه في حنين عارم إلى بلدته ، ولعلّه كان يفكر في أحداث تجربته المريرة الخائبة والتي عاد منها بخفّي حنين. أو لعلّه كان يخطط لحياته المقبلة بشروطها القاسية التي فرضها على نفسه وهو ببغداد.

إن قصيدة المعري هذه بلغت واحداً وخمسين بيتاً – كسابقتها – وهي لوحة تراجيدية تحمل هموم المعري وتعلن عن انكساره ، لإحساسه بوطأة الاغتراب ، وشعوره بالتعاسة بسبب افتقاده العلاقات ذات المعنى الإنساني مع الآخرين. فذات المعري التأملية التي تكافح من أجل مقتنيات لا تفنى ، تصبح مغتربة في

عالم تسوده الماديات والمصالح. ولن نستطيع أن نورد القصيدة كاملةً ، وإنما نختار مجموعة من أبياتها ، وهي(٢٣) :

طَـربنَ لضـوءِ البـارقِ المُتعـالي ... ببغـدادَ وهنـاً مـالهنَّ ومـالي
سَـمَتْ نَحـوَهُ الأبصـارُ حتـى كأنَّهـا ... بناريـهِ مـن هنَّـا وَثـمَّ صَـوَالي
إذا طـال عنهـا سَـرَّها لـو رُؤوسُـها ... تُمـدُّ إليـه في رؤوس عَـوالي
تمنّـت قُويقـاً والصـراةُ حيالهـا ... تُـرابٌ لهـا مـن أينُـقٍ وجِمـالِ
إذا لاحَ إيمـاضٌ سـترتُ وُجُوهَهَـا ... كـأني عَمْـرٌو والمطـيُّ سـعالي
وكـم هـمَّ نضـوٌ أن يطـير مـع الصبا ... إلى الشـام لـولا حبسُـهُ بعقـالِ

....

لقـد زارنـي طيـف الخيـال فهـاجني ... فهـل زارَ هـذي الإبـلَ طيـفُ خيـالِ
لعـلَّ كَراهـا قـد أراهـا جـذابها ... ذَوائـبَ طلـحٍ بـالعقيق وضـالِ
تـرى العَـوْدَ منهـا باكيـاً فكأنّـهُ ... فصـيلٌ حَمَـاهُ الخلـفَ ربُّ عيـالِ
ولـو وضَـعتْ في دجلـة الهـامَ لم تُفـقْ ... مـن الجـرع إلاّ والقُلُـوبُ خَـوالِ
تـذكّرن مُـرّاً بالمنـاظِر آجنـاً ... عليـه مـن الأرطـى فُـرُوعُ هَـدَالِ
وأعجبهـا خَـرْقُ العِضَـاه أنُوفَهَـا ... بمثـل إبـارٍ حُـدِّدَتْ ونِصـالِ
تَلَـونَ زبُـوراً في الحـنينِ مُنـزَّلاً ... عَلَـيهِنّ فيـه الصـبرُ غـيرُ حـلالِ
وأنشَـدْنَ مـن شـعر المطايـا قصـيدةً ... وَأَوْدعنَهـا في الشـوقِ كـلَّ مقـالِ

....

فليـت سـنيراً بـان منـه لصُـحبتي ... بروقَـيْ غـزالٍ مثـلُ رَوقِ غـزالِ
وَمَـن لـي بـانّي في جنـاحِ غمامـةٍ ... تُشَـبِّهها في الجُـنحِ أمّ رِئـالِ
تهـاداني الأرواح حتّـى تحطّـني ... علـى يـد ريـحٍ بـالفرات شمـالِ

صوّر المعري صراع الذات، وحنينها الجارف ، مستوحياً تراجيديا الموقف من أعماق الجمال، يقرأ أفكارها ، ويجسد همومها ، وإذا ذات المعري تفيض على الإبل فتطالعنا بأحداق وملامح إنسانية ، تضحك وتبكي ، تطرب وتشقى ، تتناجى وتشتكي ، تعاني وطأة الوجود وتغتبط به ، فهي مؤرّقة تسري قشعريرة الحنين في أوصالها ، لأنها ترى في جنح الليل ذلك البرق الذي يومض من صوب الشام ، فتكاد أن تطير إلى هناك على أجنحة ريح الصبا لولا أنها مقيدة.

ويأخذ التوتر النفسي بالتنامي داخل النص مع ازدياد القلق والتوجس ، فإذا ما غاب البرق عن أبصار الإبل ، تمنت أن تُقطع رؤوسها وتُرفع على عوالي الرماح لتختصر المسافات باتجاه الوطن عسى أن تشرف على ربوعه. والمعري يعبّر عما يحس به من صراع داخلي ، فيزاوج بين الذات والموضوع ، ويسمعنا أصداء نفسه ، وما تضجّ به من الألم ، فالإبل (ذات الشاعر الولهى) لديها معايير ورؤى في المفاضلة بين الأشياء تختلف عن رؤى الآخرين وأحكامهم ، فهي ترى قويقاً (نهر صغير على باب حلب) أطيب هواء وأعذب ماء من الصراة (محلة ببغداد بين دجلة والفرات عُرفت بخضرتها وعذوبة مائها).

ويشفق المعري على إبله ويزداد رثاؤه لها ، ويخشى ان يدفع بها الحنين إلى مفارقته ، فيسرع إلى ستر عيونها كلما لاح لها البرق ، حتى لا تفعل كما فعلت السعلاة (أنثى الغول) مع عمرو بن يربوع ، فقد تزوّجها الرجل وأنجب منها أولاداً ولكنه حذر من أن ترى البرق حتى لا تتركه ، فكان إذا أومض البرق ادخلها الخباء ، ولكنه غفل عنها ذات ليلة – كما هي طبيعة الأساطير – فهربت حين رأت البرق إلى أهلها من السعالي والغيلان[٢٤]. وبذلك وظف المعري الأسطورة لتجسيد إحساسه بالفقد ، وإيجاد حلول للتوتر الذي يعانيه. ثم يتساءل عجباً !؟ يا لها من جمال ولها ، يؤرقها الحنين إلى وطنها المجدب ، فتحلم بالماء الآسن وقد غيّرت لونه وكدّرته فروع شجر الأرطى وأوراقها المتساقطة فيه ، وما هذا الشوق المتناهي إلى النباتات الشوكية التي تخرق الأنوف في الوطن ؟ وكيف تنسى مياه نهر دجلة الرقراق ، وتلك الأشجار اليانعة على ضفتيه ؟ وبعد أن لام جماله يعود المعري ليلتمس لها العذر في قلقها ، يواسيها ويتظلم لها ، فليس هناك في الحقيقة أعذب من الماء الآسن في الوطن ، ولا ألذّ طعماً من أشواك صحرائه المجدبة.

ويفصح الشاعر أخيراً عن مكنون ذاته المنكسرة ، فمشاعر الجمال هي مشاعره ، إنها تترجم ما يجول في نفسه المضطربة ، فهو يرسم في حديثه عن تعب الإبل ومعاناتها وهزالها ، صورة عن ذاته التي عانت ما عانت ببغداد من سوء المعاملة في مجالس الأدب وغيرها ، وربما كان المعري في هذا الإسقاط ينقل ذات نفسه ويتحدث عن حرمانه من والدته الرؤوم التي افتقدها في أثناء وجوده ببغداد ، وهو أحوج ما يكون اليها ، فترك فَقْدها في نفسه مرارة ظلت تلازمه طيلة حياته. وما التعبير في العمل الفني سوى دلالة نفسيّة تفصح عن العلاقة بين المبدع وموضوعه[٢٥]. وهذا أمر طبيعي نراه كثيراً في الشعر العربي ، فالشاعر وراحلته يتبادلان الأحاسيس والهموم ، ولكن ما يميّز شعراً عن شعر، أو صورة عن صورة ، هو التعبير الصادق الموحي عن أدق خلجات النفس ، والجدّة والطرافة في التصوير.

وَقُرْبَ نهاية القصيدة يقول أبو العلاء بعد أن اختبأ طويلاً وراء جماله[٢٦] :

فيا برقُ ليس الكرخُ داري وإنّما رَمَاني إليه الدهرُ منذُ ليالي

فهل فيك من ماء المعرّة قطرةٌ تُغيث بها ضمآن ليس بسالِ

الذات الشاعرة وأزمة فَقْد البصر :

مما لاشك فيه ان ذهاب البصر – عند المعري وعند غيره – محنة كبرى ، فالمكفوف لا يسعه إلاّ أن يشعر

بما حاق به من مكروه ، وما حُرم من المزيّة ، فهو يأسف ويتحسر ويتلهف ، وإن تصنع الجَلَد ، وأبدى التشدد ، ولا يمكن ان تخلو خسارة هذه الجارحة النفيسة من أثر عميق في نفس المعري وتفكيره ، ونوع إحساسه بالحياة والناس. فإذا ما رافقها وجه دميم مجدور ، وجسم نحيف نحيل ، ازداد الأمر سوءاً.

بهذا الوهن الجسدي وإفرازاته النفسيّة ، وتداعيات متطلبات الحاجة اليومية ، سافر المعري إلى بغداد ، بعد أن كان في بلدته محاطاً بالرعاية والأمان ، فقد عامله الأهل والأقارب ، بمنتهى اللطف والترضي ، يشجعونه على مغالبة رزئه ، والتغلب على قيده ، وكان الناس ببلدته يجلّونه ويصدرون عن أمره لمكانته، ومكانة أسرته بالمعرة، فجلّهم – كما ذكر الرحالة ناصر خسرو – كالعبيد له يتولون عنه أموره ، وقضاء حاجاته ، إلاّ أنه سلك طريق النسك وتردّى ببرجد العفاف(٢٧).

لقد تخلى المعري عن كلّ هذه الرعاية ، وكل هذا الاهتمام ، وقصد بغداد ، وهو يحمل علّه العلل – عماه – فنزل إلى المعترك ، وخاض الغمار، وضرب في الزحمة، معتمداً على عصاه ، يتأمل مَن يأخذ بيده ويقوده إلى مكان آمن تتوافر فيه احتياجات الضرير النحيل. ومما زاد في الطين بلّة ، اجتماع أمرين عند المعري ، أولهما : حس مرهف دقيق ، إذ كان عزيز النفس لا يحمل منّة احد ، شديد الحياء حتى حمله ذلك على أن يأكل وحده خجلاً من أن يرى مؤاكله أو غيره ما يكرهه منه، فعنده أنّ ((الأعمى عورة ، والواجب استتاره في كل أحواله))(٢٨). وثانيهما: مجتمع يشعره انّه مكفوف كأن يُبدى التأسف الزائد عليه ، أو يعيّره ، أو يُهوّل مصابه ويعنّفه على مغادرة الديار وهو بهذه العاهة في ذلك الحشد المجهول ، ولهذا كان المعري يحرص على اجتناب ما يعرضه للمهانة أو الزراية أو السخرية ، وهو لفرط شعوره بذاته يستنكف ويكره لنفسه أن يراه احد على حال تزري به. ومن تتبع شعر أبي العلاء وما يعرض فيه لمحنة فقدان بصره ووهنه الجسدي، يجده مغموراً بالألم الشديد والحزن العميق ، طافحاً بالحسرات والزفرات. فقد ثقلت عليه مصيبة العمى وشقّت جداً وهو يجوب مدينة صاخبة بناسها وأفكارها ، متصادمة بسياساتها وعقائدها ، اجتمع فيها من أرباب المقالات والملل والآراء والنِحل والفقه والجدل والأخبار والآثار وعلماء الحديث والنحو واللغة والأخبار ، ما يجاوز ألوفاً ، ويعقد على آذان الدهر شنوفاً(٢٩) . فلم يطمئن إلى صواب ما يرى ، ولم يصل إلى اليقين الجازم في فهمه لمن حوله من الناس ، ولم يكتسب الثقة بالنفس ، فهو أبداً مضطرب لا يستقر ، حائر متوجس ، لا يطمئن إلى رأي ولا يثق بصواب ، إنها مشاعر الأعمى – المستطيع بغيره – المستمدة من التخيّل والظن والحدْس والشك(٣٠). لذا تسرب الخوف إلى نفسه ببغداد ، واستبدّ به انكسار يفلّ العزم ، ويغري بالرضا بآلام يعرفها ببلدته المعرة ، لاتقاء ما يجهل من سهام القضاء وسياط الزمن في قابل الأيام ، ومحاولة الانكفاء عن الذين يظهرون بصورة ملائكة الرحمن ، بينما هم أبالسة في إهاب إنسان.

وكما أسلفنا القول ، فَقَد المعري خدمته الجليلة ببغداد، بعد أن كان مخدوماً مكرّماً بين أهله، فهو بحاجة ماسة إلى مَن يضبط منزله ، ويسخن له الماء ، ويصلح له القدر ، ويوقد له النار ، ويهيء ملابسه

ويبسط فراشه ، ويملي تصانيفه ... ومتصفّح بغداديات المعري يجدها تنضح بمعاناة الضرير الواهن الذي أقام بمحلة سويقة غالب أو بمحلة الفقهاء بكرخ بغداد[٣١] وحيداً يقاسي مرارة الغربة، وتجلياتها النفسية والمادية ، وها هو يشكو في بغدادية له، ضيق باله ، وتوقد أحزانه ، وما يلقى من برودة مسكنه ، وخمود ناره ، في ليلة شتائية باردة ، طويلة بهمومها ، وقد عبثت به النار وهو يحاول تأريثها وإلهابها ، فأحرقت ثيابه وبساطه ونمرقه (وسادته). ومن يتأمل حال ذلك الضرير الغريب والنار مستعرة بجنباته وهو يحاول جاهداً إطفاءها بعد ان عزّت عليه الحياة ، يشفق عليه ويأسف لحاله المزرية ، وها هو يصف معاناته ووهنه فيقول[٣٢] :

والمـــاءُ وُردي لا تَـــزَالُ نواجـــذي ... في مُنتضـــاهُ سَـــوَابحاً كـــأوازِمِ

يُمســـي ويُصـــبحُ كوزُنـــا مـــن فِضّـــةٍ ... مَـــلأتْ فـــمَ الصـــادي كُســـوَر دراهـــمِ

ولَـــديّ نـــارٌ ليـــت قلـــبي مثلُهـــا ... فيكـــونَ فاقِـــدَ وقـــدةٍ وســـخائمِ

عَبِثـــتْ بثـــوبي والبِســـاط وغَـــادَرَتْ ... في نُمْرُقـــي أثـــراً كَوَسْـــمِ الواســـمِ

....

ليلـــي كمـــا قُـــصَّ الغـــرابُ خِلاَلَـــهُ ... بـــرقٌ يُرنّـــقُ دَأبَ نَسْـــرٍ حـــائمِ

بمحلـــة الفقهـــاءِ لا يعشـــو الفتـــى ... نـــاري ولا تُنضـــى المطـــيَّ عزائمـــي

وفي هذه القصيدة صور ذاتية موحية تعبّر عمّا يجيش في صدره من تمزق وخيبة، منها قوله:

وَتسَـــوفُ رائحـــةَ الخُزامـــى أينُقـــي ... فَتَقُودُهَـــا ذُلُـــلاً بغـــير خـــزائمِ

وما هذه النوق الذلل التي تشم رائحة الخزامى بنواحي الشام ، وهي ببغداد ، فتنقاد مطيعة لراكبها لا تعاسره ، إلا ذات المعري المنكسرة الذليلة ، التوّاقة إلى أمن أهلها ورعايتهم.

الذات الشاعرة وأزمة إصفار اليد :

رأى المعري ببغداد مظاهر البذخ والترف ، وازدياد متطلبات الحياة اليومية ، في ظرف كان فيه قليل المال، كثير الأنفة ، مفرطاً في التعفف والإباء، شديد الحسرة لضيق ماله عن بلوغ آماله ، فآثر الاحتشام والتجمل ، وكره لنفسه ذلّ السؤال ، وتجرع غصص الحياة النكداء بمقام خلا من الأسرة والأودّاء ، بيدَ أنّ أبا العلاء إنسان مرهف يحب الحياة كما نحبها جميعاً ، يشتهي الحياة الرضيّة ، والمتعة المرضية ، والسلامة من البأساء والضراء.

وأحسب أنّ كلّ مَن وقع في مثل هذه الضائقة – النضوب المادي وإصفار اليد – وهو في الغربة ، لابد أن يضطرب اضطرابه ، ويقع في مثل حيرته وانكساره ، وكما جاء في قول أحد الحكماء ((نظرت إلى كلّ

ما يذَل القوي ويكسره فلم أر شيئاً أذلُّ له ولا أكسر من الفاقة))[٣٣]. ومثلما قيل في مأثور الحكم ((الفقر رأس كل بلاء ، وداعية إلى مقت الناس وهو مع ذلك مسلبة للمروءة ، مَذْهَبة للحياء))[٣٤]. ولولا رجاحة عقل المعري ووقاره وسمته وشدّة انقطاعه عن أسباب الدنيا ، لما استطاع بلا ريب أن يحول دون امتهان النفس في تملق الملوك والأمراء وذوي الوجاهة والثراء ببغداد فيحوك معهم أو ضدهم مختلف الشباك نبيلها وخسيسها لجلب الدنيا حلالاً وحراماً كما يفعل معاصروه المصنفون في طبقة الشعراء الفحول ، ومثلما يرتزق بوساطة النفاق والمداهنة بعض معاصرونا ممن حُسبوا في خانة الأدباء. لقد آثر المعري العوز والفاقة على ذل السؤال فقال، وهو ببغداد[٣٥] :

رَحَلْـــتُ لم آت قِرواشـــاً أُزاوِلُـــهُ ... ولا المهـــذّبُ أبغـــي النيـــل تقويتـــا

والمـــوتُ أحسَـــنُ بـــالنفس الـــتي أَلِفَـــتْ ... عِـــزّ القَنَاعَـــةِ مِـــنْ أن تســـألَ القُوتـــا

فنزّه نفسه عن التعرض لسؤال الأميرين (قرواش)* و(المهذّب)** لعلمه بما يرغبان من شراء المديح ، والمكافأة عليه ، في وقت كان فيه ببغداد أحوج ما يكون لقرش يقوّت فيه نفسه ، ويسد به رمق جوعه ، وهذا مثل قوله في بغدادية أخرى بعث بها إلى أهله بالمعرّة ، وقد ساءت حالته ، وبان انكساره بعد ان أصفرت يده ، فقال[٣٦] :

أإخواننـــا بـــين الفُـــراتِ وَجِلّـــقٍ ... يَـــدَ الله لاخبَّـــرتكُمْ بمُحَـــالِ[٣٧]

أُنَبِّـــئكُمْ أنّـــي علـــى العهـــد ســـالِمٌ ... وَوَجْهـــي لَمّـــا يُبتـــذلْ بسُـــؤالِ

وأنّـــي تيمّمـــتُ العِـــراقَ لغـــير مـــا ... تيمّمـــهُ غـــيلانُ عنـــد بـــلالِ

فأصـــبحتُ محســـوداً بفضـــلي وَحْـــدَهُ ... علـــى بُعـــدِ أنصـــاري وقِلّـــةِ مـــالي

نـــدمتُ علـــى أرض العواصـــم بعـــدما ... غـــدوتُ بهـــا في الســـومِ غَـــيرَ مُغـــالِ

أقول : لو لم يكن أبو العلاء خلوقاً سمتاً ، قويّ الروح والإرادة ، زكيّاً ، لما غادر بغداد محبطاً منخذلاً ، إنها لمفارقة لطيفة تجمع بين طرفين متضادين : قوة الروح والإرادة/وما يقابلها من خذلان وانكسار وانسحاب. فقد كان بإمكان المعري أن يحيا ببغداد حياة غيره من الشعراء المداحين والمتكسبين ببضاعتهم، المتملقين لأولياء نعمتهم ، لان العقد جائز مستساغ بين المادح والممدوح ، كلاهما في موقف الأخذ والعطاء ، فالشاعر يسدي لممدوحه عبير ثنائه ، والممدوح يزجي إليه سحائب جوده ، إنها عملية بيع وشراء ترتضيها المؤسسة النقدية والبلاغية. فلماذا لا ينتفع المحتاج المعوز من بضاعته الرائجة ، في ظرف يقتات فيه على فتات الرغفان ؟ هذا ما كان يؤرق المعري ويحاصر ذاته ،وهذا ما شك فيه القوم بين الفرات وجلّق ، وهو الأمر الذي دعا المعري أن يقسم لخاصته وغيرهم بأغلظ الإيمان (يد الله...) على ان يفصح باليقين ، إنّه لم يرق ماء وجهه في ذل السؤال ، وطلب النوال ، مادامت لله يد غالبة على كلّ يد. فهو لم يقصد

العراق مثلما قصده غيلان (ذو الرمة الشاعر الأموي صاحب ميّة) وكان قصد بلال بن أبي بردة الأشعري ، قاضي الكوفة وأميرها مادحاً له ، وطالباً نيله. ومن الملاحظ أنه غالباً ما يوظف الشخصيات التراثية في ثنايا أبياته ؛ توخياً لإبراز حاله ، وتمثله وتقريبه لإفهام المتلقين.

وتبدو الذات المنكسرة جلية في بيته الأخير (ندمت على أرض ...) فقد أطبق أسنانه على بنانه ندماً على فراق أرض قومه (العواصم) ببلاد الشام.

ومتتبع بغدادياته يهجس أن شكواه من قلّة المال ، ونضوب اليد ، تزداد حدّة كلما شارف كمّه على الإصفار ، ولا نغالي إن قلنا – وأرجو أن لا نتهم بحب الثراء – إن المال أساس كلّ شيء في الحياة ، وبسبب اختلافه في القلّة والكثرة ، تختلف أحوال الناس ، وها هو المعري الزاهد بدنياه يستغيث من قلّة ماله وأنسه ببغداد ، وقد بان انكساره ، بعد أن بات معدماً يمشي مذهلاً على شفا جرف متهرّء يخشى انهياره(٣٨) :

فأذهَلُ أنّي بالعراقِ على شَفاً ... رذيُّ الأماني لا أنيسٌ ولا مالُ

ومن الملفت أن المعري يساوي في المكانة بين الأهل والمال ، بعد ان عاش مرارة الحرمان ، وألم العوز ، فأنزل المال بمنزلة الأهل ، لأن الغنى ينهضه إلى ما يريد كما تنهضه أسرته وتعينه على قضاء مآربه وسبل عيشه .

وكأنّه يستحضر القول المأثور ((غنى المرء في الغربة وطن))(٣٩) ، وفي هذا المعنى يقول(٤٠):

كفى حَزَناً بَيْنٌ مُشِتٌ وإقلالُ ... مُقِلٌ من الأَهْلَينِ يُسْرٍ وأُسْرَةٍ

طويتُ الصِبَا طيَّ السجلِّ وزارني ... زمانٌ له بالشيب حُكمٌ وإسجالُ

وكم ماجدٍ في سِيف دجلة لم أشم ... له بارقاً والمرء كالمزن هَطّالُ

ومن يتأمل أبيات المعري يجد فيها انسحاب الأبي، وانكسار العزيز الذي لم يتخلَ عن قيمه، ولم يزيّف وجوده وفكره وإحساسه ، فهو لم يرتج من كريم نوالاً ، لأنه – كما يرى – ضرباً من الاستجداء ، ولوناً من المهانة التي تمرّغ الأنف بالتراب ، فهو لا يقرُّ الشعرية مهنة أو وسيلة للارتزاق – مهما بلغ صاحبها من الفاقة وسوء الحال – وها هو يتضوّر جوعاً ببغداد – بعد تطاول المدة عليه – فقيراً معدماً ، ليس أمامه إلا الخضوع كما ينبغي لمثله ، أو لملمة شتات ذاته ، والرجوع إلى دياره حسيراً كئيباً ، وهو أهون الأمرين عنده. وقد ذكر الميمني أن المعري رأى ببغداد مظاهر الغنى والمدنية ، وليس بيده غير إصفار الراحة ، وكان يرغب لو أتاه الله رغداً من العيش من وجهه ، ولكنّ مضنته أخفقت(٤١). وقد أكد المعري هذا الإخفاق حين فارق بغداد ، وعاد من رحلته صفر اليدين مالاً وعلماً(٤٢) :

رحلتُ فلا دنيا ولا دين نلتُهُ ... وما أوبتي إلاّ السفاهةُ والخرقُ

وفي قصيدة كتبها بعد عودته لمعرة النعمان إلى القاضي التنوخي ببغداد بين فيها بعض الأسباب التي أزعجته من بغداد ، ومنها[٤٣] :

أســـارني عـــنكُمُ أمـــران : والـــدةٌ لم أَلقَهـــا وَثَـــراءٌ عـــاد مَســـفوتا

أحياهُمـــا اللهُ عصـــر الـــبين ثَـــمَّ قضـــى قبـــل الإيـــاب إلى الـــذخرينِ أن مُوتـــا

وعلى ما يبدو أن حديث الأستاذ عباس محمود العقاد في كتابه (رجعة أبي العلاء) يفتح باباً من أبواب الذات العلائية ، وسلوكها المتفرد ، فقد عُني بشيمة مهمة في أديب المعرة ((هي السمت والوقار أو هي كما نقول في لغة العصر أدب البيئة ، وأصول اللياقة))[٤٤]. فالمعري عند العقاد ((أسير أدب اللياقة يمنعه هذا الأدب ما ليس يمنعه شرع ، ولا فلسفة ولا عقيدة ... والمعري أشدّ تحرجاً من كثيرين ، وأنه ليحضر على نفسه ما يبيحه آخرون ، وأنه ليحسب الوقار جمالاً لا يدانيه جمال في الرجال))[٤٥] وهكذا جاهد المعري عن ذاته المتأزمة ، بعد أن أدرك ما يحيط بها من ذلّ وهوان ، وانسحب القهقرى إلى معرته حفاظاً على سمته ووقاره.

الذات الشاعرة وأزمة الحُقْرة وحُرْقَتِها :

تناولنا فيما مضى من البحث أسباباً أسهمت في انكسار ذات المعري وتمزقها ، وبقي أن نختم بحثنا بأهم سبب نرى أنه عجّل بأوبته إلى بلدته معرة النعمان ، وزاد في ارتكاس ذاته ، وإحساسها بالنفي والاستلاب والضياع والخيبة ، فقد تناسى أبو العلاء ، أو تسامى بسمته ووقاره - وهو في ذروة الطموح وغمرة الحشد - أن سبيل الآمال والأماني ببغداد، لا تكون إلاّ بالخضوع أو التضرع ، لاسيما لمن كان في حاله من الوهن وفقد البصر والفاقة والاغتراب ، وكانت العقوبة التي لقيها على هذا النسيان – على حد قول عبد الله الطيب –((مرّة لاذعة ، أقل ما توصف به إنها العقوبة التي لا مفرّ منها لكل ذي ضعف ظاهر ، وطموح جاسر ، مشفوع بالكبر والنخوة))[٤٦].

ومما لا شك فيه أن (الحُقْرَة) التي تجرّع مرارتها من شخصيات أدبية ولغوية ودينيّة ببغداد، هي من أهم دواعي انكساره وخذلانه ، فالحقرة هي خطوة خطيرة نحو (الحُرْقة) ، والحرقة تعبير عن التعاسة التي يحياها الفرد بين أُناس يقصدون تحجيمه والانتقاص من قدره عمداً ، أي احتقاره ، فالمفردتان (الحقرة والحرقة) – كما جاء في ذخائر العرب – إحداهما تنطوي على الأخرى ، أو تؤول إليها[٤٧].

وبحسبنا أن نشير إلى بعض المواقف المؤذية الصادمة التي أرهقت ذاته ببغداد ، منها ما أصابه من النحوي علي بن عيسى الربعي ، حين همّ بالصعود إلى حلقته ، فإذا به يسمعه يقول : ((ليصعد الاصطبل ، فخرج مغضباً ولم يعد إليه))[٤٨]. وكانت ((الاصطبل)) لفظة ذمّ جارح ، تطلق على المكدين من العميان . وما لقيه عند الأديب الفقيه أبي حامد الإسفرائيني من التجاهل والتجاوز وعدم الالتفات ، بعد

أن حبّر فيه عينيته الرائعة حال وصوله بغداد ، يرجوه فيها بالتوسط في إرجاع سفينته المغتصبة بالأنبار ، ومطلعها[٤٩] :

لا وَضْـــعَ للرّحـــلِ إلاّ بعـــد إيضَـــاع فكيـــف شـــاهَدْتِ إمضـــائي وإزمـــاعِي

أشار فيها إلى ركوبه السفينة ومن ثمّ سلبها ، وما أصابه من الخوف والهلع أثناء الرحلة إلى بغداد، وانتقل إلى بيان من يحبّهم بالعراق وهجر أشياعه لأجلهم، ومنهم بالتأكيد صاحب القصيدة ، فقال[٥٠] :

وبـــالعراقِ رجـــالٌ قُـــرْبُهُمْ شـــرفٌ هـــاجرتُ في حـــبّهم رهطـــي وأَشـــياعي

وخشي المعري أن يفهم أبو حامد من مدحه هذا أنّه يبتغي ثواباً ؛ لأنه بصير فقير غريب ، فبيّن له أنفتَه وشمائله ، وعرض عليه أخلاقه في صورة فتوى ، إذ بسط ذلك له حتى لا يسبق إلى ظنه ما هو بعيد عنه – لاسيما أن الشعراء في ذلك العهد قد غلب عليهم التملق والمغالاة في المدح – وحتى يُفهمه ان الحاجة التي يبتغيها عنده هي مودّته ومعونته على إرجاع السفينة ، وانه يشكره ويدعو له وإن لم يبلغه مأمله ، فقال[٥١] :

اسمـــعْ أبـــا حامـــد فتيـــا قُصِـــدتَ بهـــا مـــن زائـــرٍ لجميـــلِ الـــودّ مُبْتَـــاعِ

مـــؤدّبِ الـــنفسِ أكّـــالٍ علـــى ســـغبٍ لحـــمَ النوائـــبِ شَـــرّابٍ بأنقـــاعِ

إلى أن يقول[٥٢] :

ولا أُثقِّـــــلُ في جـــــاهٍ ولا نشـــــبٍ ولـــو عُـــدِدتُ أخـــا عُـــدمٍ وإقـــاعِ

مَـن قـال صـادق لِئـامَ النـاسِ قلـتُ لـه قـولَ ابـن الاسـلتِ قـد أبلغـت أسمـاعي

ثم يعرض قضيته[٥٣] :

مطـــيّتي في مكـــانٍ لَســـتُ آمَنُـــهُ علـــى المطايـــا وســـرحانٌ لهـــا راعِ

فـــارفع بكفـــي فـــإنّي طـــائشٌ قـــدمي وامـــدد بضـــبعي فـــإني ضـــيّقٌ بـــاعي

ومـــا يكـــن فلـــك الحمـــدُ الجزيـــلُ بـــه وإن أُضـــيعت فـــإني شـــاكرٌ داعِ

وفي القصيدة إشارات خفيّة ، واحتراس دقيق ، إذ رأى المعري ببصيرته ، ودقّة تفكيره ، وشدّة إحساسه ، ما يعتلج في الصدور ويدور في الأخلاء من تثاقل وعدم اكتراث ، فاحترس أشد الاحتراس ، وتلطف غاية التلطف في عرض حاجته ، بعد أن بيّن في فاتحة كلامه أنّه ضيف مبتاع لجميل الودّ ، مؤدب النفس وقور ، يقابل الودّ بأضعاف. لا يثقل في جاه ولا نشب ، ثم ختم كلامه بأنه لم يكن كغيره من الشعراء ، إذا نجح مدح ، وإذا أخفق قدح . ولم يعرفنا التاريخ ولا كتب الأدب والنقد – على حد قول محمد سليم الجندي – ((ما لقيت هذه القصيدة من أبي حامد ، والظاهر أنها ذهبت كصيحة في واد))[٥٤].

وللمعري مع الشريف المرتضى حادثتان مؤلمتان ، أولهما : حين دخل على المرتضى والناس مجتمعون ، والمجلس غاص بأهله ، ((فعثر برجل ، فقال : مَن هذا الكلب ؟ فقال المعري : الكلب مَن لا يعرف للكلب سبعين اسماً ، ثم جلس في أُخريات المجلس))[٥٥]. ويبدو للباحث أن المعري في هذه الحادثة ، تلذذ انتصار الغلبة ، - وإن بدا للحاضرين مهتضماً منكسراً منزوياً في آخر المجلس – فقد صفع مُحَقِّره صفعةً مؤلمة ، وألجمه بكلام عربيّ مبين ، فأصبح الشاتم المُحَقِّرُ ، مشتوماً مُحْتَقَراً ، ولم يعد بإمكانه أن يصدر إلاّ أصواتاً بهيمية نكراء ، صار كلباً لأنه عجز عن ذكر أسماء الكلب.

ومتأمل هذه الحادثة يجد فيها نسقاً خفيّاً، أو مسكوتاً عنه ، فإذا كان المعري قد داوى جرحه ، وأبرد حرقته ، ولفت انتباه الآخرين إلى جدارته وتمكنه في اللغة ، إلاّ أنه فتح على نفسه باباً –وإن كان غير مباشر – للصراع والبغضاء مع الحاضرين والغائبين ، بل شمل بشتيمته أبناء آدم الذين لا يعرفون أسماء الكلب إلى يومنا هذا. وإذا كان الخطاب موجهاً لمن عثر به مباشرة ، إلاّ أنه يشمل الآخرين جميعهم ، فهم كلاب على حد شرط المعري ، لذلك لم يتجرأ أي واحد منهم أن يسأل المعري عنها ، لأنه سيعترف حينئذ بجهله ، لهذا لاذوا جميعاً بالصمت على أمل إنقاذ آدميتهم ، أو على الأقل تأجيل اللحظة التي لابدّ لهم فيها من الثأر والتشفّي.

وها هي الفرصة قد سنحت للشريف المرتضي في الحادثة الثانية، لتحقير المعري وإهانته ، أيّما إهانة ، فقد كان المعري يتعصب للمتنبي ، وقد شرح ديوانه وسماه (معجز أحمد) فجرى ذكر المتنبي يوماً في مجلس الشريف المرتضي ، فطعن الشريف في شعره ، ودافع المعري عن صاحبه قائلاً : ((لو لم يكن للمتنبي من الشعر إلاّ قوله : لك يا منازل في القلوب مَنازل ، لكفاه فضلاً ، فغضب المرتضى وأمر به فسُحب برجله ، وأُخرج من مجلسه ، وقال لمن بحضرته : أتدرون أيّ شيء أراد الأعمى بذكر هذه القصيدة ، فإنّ لأبي الطيب ما هو أجود منها ولم يذكرها ، فقيل : النقيب السيد أعرف . فقال : أراد قوله في هذه القصيدة :

وإذا أتتك مذمّتي من ناقص فهي الشهادة لي بأني كاملُ))[٥٦]

إنها بلا شك إهانة كبيرة لأديب المعرّة الغريب. اقتص المرتضى من المعري ، فلم يكتفِ بإصدار الأمر ان يسحب برجله ، بل نعته بالأعمى ، ولا جدال انه عامله كما يُعامل الكلب ، من دون انْ يحتج أحد من الحاضرين. ولعلها غيرة العلماء أو الأدباء التي تجعلهم يتربصون سقطات بعضهم ، ويلتفتوا بذكاء حاد إلى ما يتعاطى بينهم من ألغاز ونوايا دفينة. لقد أفلح المرتضى في حلّ لغز المعري الواخز الشفيف ، فأثبت ذكاءه وفطنته ، بل أثبت أنه أفضل من المعري بمجرد اهتدائه إلى الجواب الصحيح ، فصار من حقّه أن يعاقبه ويحقّره ويذله ، وهكذا طُعن الضيف بخنجر المُضيّف صاحب المقر وصاحب القرار ، إنه يملي على الضيف ميولاته الايديولوجية والعقائدية ، وآثاره الثقافية والفكرية ، وسلوكياته النفسية ، لاغياً حقه في الاختلاف والتعايش . على أننا لا يدفعنا التعاطف مع الضيف (المعري) فنغفر له حفره في الباطن ، لتهميش المُضيّف والانتقاص منه ، يحدوه التعصب الأعمى للمتنبي ، إذ كان بإمكانه أن يفتح الحوار حول

المتنبي ويتداول الخلاف على نحو من الموضوعية والاستدلال ، فالبيت المُلمّح إليه من دون أن يذكره ، هو بمثابة الشوكة في حلق المرتضي. إنه نشاط من أنشطة فكرنا العربي المتجذر المهوس بالتعالي والكبرياء ، يهتف بما فيه ، ممارساً الإلغاء والتهميش والمناورة ضد الآخر. وهنا يجب التنبيه إلى مخاطر تحصين الذات والنظر إليها على انها المثال الأعلى، في نرجسيّة فكرية ولغوية وثقافية ... تقصي الآخر أو ترى فيه الجحيم المسعور. وفي الوقت ذاته ينعكس الآخر – أو الفكر الآخر – على هذه الذات المتعالية بما يشبه لعبة مرايا ، فيلتقيان متجادلان على مأدبة واحدة غنيّة بحساسيات الصراع ، والتناكر المتبادل. وقد أحسن الكاتب الجزائري (بختي عودة) في قوله – وهو يتحدث عن محنة البحث عن الذات ، ومحنة إقصاء الآخر – ((ينبغي دوماً أن نجعل مكاناً للآخر))[٥٧] . أي البحث عنه ، وتذليل المصاعب أو العوائق التي تحول دون التواصل معه ، والانفتاح على فضائه الفكري والمعرفي ، بعيداً عن الميولات الايديولوجية ، والنزوات القهرية ، والوصايا القسرية التي تهدف إلى الهيمنة والسيطرة.

إن الانفتاح على الآخر ، وانفتاح الآخر على الذات ، ينبغي أن يكون شاعريّاً ، خالياً من العقد والمناورات ، فإذا لم يستجب لهذا المقصد الخُلُقي ، فانه سيتحول حتماً إلى هيمنة وإقصاء ونبذ. وهنا يجب التأكيد على النيّة الطيبة بين الطرفين : (المسافر بحثاً عن مخزون جديد للفكر/وطيبوبة المضيّف وتقبله للآخر الوافد) وهذا ما لا يتوافر في علاقة المعري بأدباء بغداد وأعيانها ، فتعكر مزاجه ، ونفرت روحه المتوجسة القلقة . وفي هذا الشأن يقول الميمني : ((لم يكن المعري ينوي أن يفارق بغداد قبل أن يجري بينه وبين المرتضى ما جرى))[٥٨] وفي موضع ثان يقول : ((وكان مزمعاً – المعري – على أن يقيم بها – بغداد – إلى أن يوافيه يومه . ولكن لما رأى من تقطيب الرؤساء والأعيان، وتنافسهم في جلب النار إلى أقراصهم ، والافتتان في ملذات الدنيا ، وتكالبهم عليها ، تزعزعت ذاته وانقبضت نفسه))[٥٩].

وعلل الدكتور شوقي ضيف رجوع المعري إلى بلدته بقوله : ((وكان من أسباب عودته منها – بغداد – سريعاً نشوب خصومة بينه وبين المرتضى العلوي أخي الشريف الرضي بسبب تعصبه للمتنبي))[٦٠]. وبينما كان المعري كئيباً ينظر في إقامته ورحلته، إذ أتاه خبر مرض أمه ، فعزّز في نفسه ما نوى عليه ، وأخذ يودّع بغداد ونفسه مثقلة بالجراح في قصيدة تحكي انكساره وخيبته منذ مطلعها[٦١] :

نبّيٌ مِن الغِربانِ ليس علَى شَرْعِ ... يُخَبِّرُنا أنّ الشُعُوبَ إلى صَدْعِ

وهي التي أظهر فيها أنّه قد بتّ عزيمته على العزلة ، وان هذه الحياة نكداء مشؤومة.

الخلاصة :

تبيّن من خلال الرجوع إلى مصادر البحث ومضانه، والتأمل في قصائد المعري البغدادية ، أن أبا العلاء كان يرغب في المقام ببغداد ، وكان يودّ الانسجام مع ناسها ، لذا زار الأدباء وحاول التواصل معهم منذ أن وطأت قدماه أرض بغداد ، وعرض عليهم ديوانه (سقط الزند) ، فضلاً عن تردده على خزانة الكتب للتزيد بالعلم لكنه وجد نفسه بعد تطاول المدة ، فقيراً معدماً ليس أمامه إلاّ الخضوع كما ينبغي لمثله ، أو

الرجوع من دون تحقيق مآربه ، ولعلّ الخضوع يطول ثم لا يجد في ذاته المقدرة على الاستمرار في تجرّعه. فضلاً عن كونه ضعيفاً معتلاً ضريراً ، لا يقوى بعد الذي تعوّده بمعرة النعمان من رأفة الوالدة وحنو الأقارب ، على أن يعيش عيشة الكفاف أو البوهيمية التي كان يعيشها أمثاله من المنتجعين وطلاب الرجاء ببغداد ، لاسيما أن أديباً مثل المعري ، تميّز بالعزة والأنفة والحياء والتوجس ، يشق عليه ذلك.

وإذا كانت عوامل الشوق والحنين والعدم والوهن الجسدي ، قد تواطأت على انكسار ذات أبي العلاء ، والعودة به إلى دياره ، فإن سبباً آخر ، فعل فعله البليغ في ذات المعري ، ودفعه دفعاً إلى الانسحاب من بغداد خائباً حسيراً ، وهو ما أصابه من إهانة واحتقار من بعض فضلاء بغداد وأدبائها ، في حوادث ذكرناها ، وغيرها مما دفع حياء المعري ووقاره عدم ذكرها ، أو مما أغفل التاريخ تدوينها ، عكّرت جوّه النفسي ، وأقضت مضجعه ، لاسيما إهانة الشريف المرتضى له ، إذ لم يكن غضب الشريف بهيّن ، فإنّ أسرته كانت تسامي منصب الخلافة ، وتناصيها في الوجاهة ، وكان أبوه مبجّلاً في دولة بني بويه ، ومما عمق جراح المعري أنّه كان يكن لهذه الأسرة عظيم القدر والتقديس ، ووافر الإجلال ، فقد رثا والد الشريفين بمرثية عصماء خالدة ، حين حضر مجلس عزائه ببغداد أشاد فيها بمآثر الشريفين (الرضي والمرتضي) ، فإذا به يتلقى من هذه الأسرة عظيم الذلّ والهوان.

وهكذا أثابت بغداد أبا العلاء المعري على تفتّح آماله وطموحه ، وعلى كبريائه ، وإحساسه المرهف ، إذلالاً وخيبة ويأساً وإخفاقاً ، فقرر وهو ببغداد تغيير وجهة نظره في الدنيا وناسها ، ورأى أن يكيل لها صاعاً بصاع ، وكان الله تعالى قد وهبه ذهناً حصيفاً ، وخيالاً واسعاً ، ومقدرة قوية على معرفة الآخر وتعرية عيوبه.

وأحسب لو قُدّر للمعري ان يحيا ببغداد حياةً كريمةً عزيزة ، وأن ينال من الجاه والرفعة ما كان يطمح إليه ، لما عاش بقيّة عمره ساخطاً ناقماً ، وذلك ما يدعونا إلى تأكيد القول بأن المعري ظل بعد عودته إلى المعرّة يسعى إلى إثبات ذاته المنكسرة المنهزمة ببغداد ، وإظهار مقدرته في الدفاع عنها ، والثأر لها ، بعد أن تحصن في عرينه الآمن لتعويض ما وقع عليه من حيف وظلم ، وما ناله من ذل وهوان ببغداد ، فقد أنجب المعري بعد عزلته بمعرة النعمان ديوان اللزوميات – وغيره – بعد أن لقح مصل هذا الجنين وعاش مخاضه العسير ببغداد ، فجاءت لزومياته وبعض آثاره الأدبية الأخرى ، مشبعة بالنقد الساخر اللاذع ، محمّله بالصراع والجدل والتضاد ، وهي نتيجة حتميّة لذات شاعرة جريحة تناضل من اجل إثبات وجودها المفقود.

Abstract

Abo Alaal -Ma'ary has some poems that were written in Baghdad .These poems were produce in a real subjective feeling arising from his sorrow soul .They have been reflected his downcast soul in Baghdad .The bases of constructing of these poems were sentimental and Psychological .His sorrow feelings were taking shape into a clear verses in all these poems that written in Baghdad.

When he was in Baghdad , Al-Ma'ary had decided to be in a solitude or in a seclusion. so he lived radical ,indignant and agitated against people at his last period . He stayed in an isolation at his secure den " Ma'rat AlNoaman " .He wanted to reveal and show what he has suffered of injustice and prostration in Baghdad .

هوامش البحث

❖ تقصى الباحث القصائد التي نظمها المعري ببغداد في ديوانه الأول (سقط الزند) مستدلاً عليها من توثيق شارحي الديوان (التبريزي ، البطليوسي ، الخوارزمي) كقولهم : وقال ببغداد ، أو قال وهو ببغداد أو قال بمدينة السلام ، أو قال يودّع بغداد ... فضلاً عن توثيق المهتمين بحياة المعري وشعره ، ومنهم عبد العزيز الميمني الراجكوتي في كتابه (أبو العلاء وما إليه) ، ومحمد سليم الجندي في كتابه (الجامع في أخبار أبي العلاء المعري وآثاره) . وتبين أنها احدى عشرة قصيدة موزعة على الديوان بحسب أرقامها الآتية : القصائد المرقمة (٢٤) و(٢٥) و (٣١) في الجزء الثاني. والقصائد المرقمة (٥٨ ، ٥٩ ، ٦٠ ، ٦١ ، ٦٢ ، ٦٣) في الجزء الثالث. القصيدتان المرقمتان (٦٥) و(٦٧) في الجزء الرابع.

وبإمكان الباحث ان يضيف القصيدة رقم (٦٦) في الجزء الرابع لبغداديات المعري ، وإن كان قد نظمها حين وصوله إلى معرّة النعمان ، لأنها تدور في فلك البغداديات وأجوائها ، إذ خاطب فيها صديقه أبا أحمد عبد السلام بن الحسين البصري ببغداد . كذلك القصيدة رقم (٦٨) في الجزء الرابع التي خاطب فيها وهو محتجب بمعرة النعمان خازن دار العلم ببغداد. وبذلك يكون مجموع القصائد البغدادية ثلاث عشرة قصيدة.

(١) تجديد ذكرى أبي العلاء ، د. طه حسين : ١٤٤.

(٢) رسائل أبي العلاء المعري : ١٠٠.

(٣) نفسه : ١٠١-١٠٣.

(٤) نفسه : ١٠٤.

(٥) شروح سقط الزند : ٦٥٦/٢.

(٦) ديوان لزوم ما لا يلزم : ٤٩/١.

(٧) المعري ذلك المجهول ، عبد الله العلايلي : ٣١.

(٨) ينظر : أبو العلاء وما إليه ، الميمني : ٨٥-٨٦ . الجامع في أخبار أبي العلاء المعري وآثاره ، الجندي : ٢٢٤/١-٢٢٥.

(٩) شروح سقط الزند : ٧٤٥/٢-٧٤٦.

(١٠) الضمير في (سارت ، زارت) عائد على السفينة.

(١١) شروح سقط الزند : ١٢١١/٣-١٢٢٠.

(١٢) شروح سقط الزند : ١٢٤٦/٣-١٢٥٧.

(١٣) نفسه : ١٢٢٦/٣.

(١٤) نفسه : ١٢٣٠/٣.

(١٥) ثمار القلوب في المضاف والمنسوب ، الثعالبي : ٤٦٧.

(١٦) بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب ، محمود شكري الآلوسي : ٣٦٤/٢.

(١٧) نقد الشعر ، قدامة بن جعفر : ١٢٤.

(١٨) شروح سقط الزند : ١٢٣٩/٣-١٢٤٥.

(١٩) ينظر : الرمز والرمزية في الشعر المعاصر ، د. محمد فتوح أحمد : ٣٧.

(٢٠) شروح سقط الزند : ١٢٥١/٣-١٢٥٤.

(٢١) العواصم : حصون بين حلب وحماة ، سُمّيت عواصم ؛ لاعتصام الناس بها والالتجاء إليها (معجم البلدان ، ياقوت : ١٨٦/٤).

(٢٢) جريال : الخمر الشديدة الحمرة ، وقيل هو لونها الأصفر والأحمر . لسان العرب مادة (جرل) : ٢٥٦/٢.

(٢٣) شروح سقط الزند : ١١٦٢/٣-١١٩٤.

(٢٤) ينظر : الحيوان ، الجاحظ : ١٩٧/٦.

(٢٥) ينظر : فلسفة الجَمال ، محمد علي أبو ريان : ٢٩٧.

(٢٦) شروح سقط الزند : ١١٩٥/٣.

(٢٧) تعريف القدماء بابي العلاء : ٤٦٢. عن سفرنامه ، ناصر خسرو .

(٢٨) تعريف القدماء بابي العلاء : ٣٦ ، ١٩٢ ، ٣١٢. عن إنباه الرواة ، للقفطي . وتاريخ الإسلام ، للذهبي . ولسان الميزان ، لابن حجر.

(٢٩) ينظر : أبو العلاء وما إليه : ٨٣.

(٣٠) ينظر : نقد الشعر في المنظور النفسي ، د. ريكان ابراهيم : ١٣٢ ، ١٣٣ ، ١٣٦ .

(٣١) ينظر: أبو العلاء وما إليه: ٨٧-٨٩ . والجامع في أخبار أبي العلاء المعري وآثاره: ٢٢٠/١-٢٢٢.

(٣٢) شروح سقط الزند : ١٤٧٨/٤-١٤٨٥.

(٣٣) المستطرف في كل فن مستظرف ، الابشيهي : ٣٩٧/٢.

(٣٤) المستطرف في كل فن مستظرف : ٣٩٧/٢.

(٣٥) شروح سقط الزند : ١٥٩٩/٤-١٦٠٠.

❖ قرواش : هو معتمد الدولة أبو المنيع قرواش بن المقلد العقيلي ، والي الموصل ، كان من رجال العرب وذوي العقل ، توفي سنة (٤٤٤هـ). (الكامل في التاريخ ، ابن الاثير : ٣٠٨/٨).

❖❖ المهذّب : هو مهذب الدولة أبو الحسن علي بن نصر (٣٣٥-٤٠٨هـ) والي البطائح ، من أصحاب الوفاء والمكارم (الكامل في التاريخ ، ابن الاثير : ١١٩/٨).

(٣٦) شروح سقط الزند : ١٢٠٤/٣-١٢٠٧.

(٣٧) جلّق : نهر بالشام مما يلي بلاد الروم وقيل موضع بقرية من قرى دمشق ، وقيل هي دمشق (معجم البلادن ، ياقوت : ١٧٩/٢).

(٣٨) شروح سقط الزند : ١٢٥١/٣.

(٣٩) المستطرف : ٤٣/١.

(٤٠) شروح سقط الزند : ١٢٥٢/٣.

(٤١) ينظر : أبو العلاء وما إليه : ٨٧.

(٤٢) ديوان لزوم ما لا يلزم : ٧٩/٢.

(٤٣) شروح سقط الزند : ١٥٩٤/٤.

(٤٤) رجعة أبي العلاء : ٢٦.

(٤٥) نفسه : ٢٨-٢٩.

(٤٦) المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها : ٦٢٥/٢.

(٤٧) ينظر : المزهر في علوم اللغة وأنواعها ، السيوطي : ٤٧٦/١.

(٤٨) تعريف القدماء بأبي العلاء : ١٦ ، ٥١٦. عن نزهة الألبا ، لابن الانباري . والانصاف والتحري ، لابن العديم.

(٤٩) شروح سقط الزند : ٧٤١/٢.

(٥٠) نفسه : ٧٥٢/٢.

(٥١) نفسه : ٧٥٣/٢.

(٥٢) نفسه : ٧٥٦/٢.

(٥٣) نفسه : ٧٦٠/٢-٧٦١.

(٥٤) الجامع في أخبار أبي العلاء وآثاره : ٢٢٩/١.

(٥٥) تعريف القدماء بأبي العلاء : ١٧ ، ٣٣٢ ، ٣٣٦ ، ٥٤٣ . عن نزهة الالبا ، لابن الانباري . وبغية الوعاة ، للسيوطي . ومعاهد التنصيص ، للعباسي . والانصاف والتحري ، لابن العديم.

(٥٦) تعريف القدماء بأبي العلاء : ٢٦٧ ، ٢٨٧ . عن الوافي بالوفيات ، ونكت الهميان ، للصفدي . والبيتان من قصيدة في شرح ديوان المتنبي ، البرقوقي : ٢١٢/٢ ، ٢١٨.

(٥٧) الذات والاخر ، محمد شوقي الزين : ١٤٣.

(٥٨) أبو العلاء وما إليه : ١٢٠.

(٥٩) نفسه : ١٢٨.

(٦٠) عصر الدول والإمارات (الشام) : ١٦٦.

(٦١) شروح سقط الزند : ١٣٣٢/٣.

قائمة المصادر والمراجع

١- أبو العلاء وما إليه ، عبد العزيز الميمني الراجكوتي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.

٢- بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب ، محمد شكري الآلوسي البغدادي ، تحقيق : محمد بهجت الأثري ، مطابع

دار الكتاب العربي ، مصر ، ١٣٤٢هـ.
٣- تجديد ذكرى أبي العلاء ، د. طه حسين ، دار المعارف ، مصر ، الطبعة السابعة ، ١٩٥١م.
٤- تعريف القدماء بأبي العلاء ، جمع وتحقيق الأساتذة : مصطفى السقا ، عبد الرحيم محمود ، عبد السلام هارون ، إبراهيم الأبياري ، حامد عبد المجيد ، بإشراف الدكتور طه حسين ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ط٣ ، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.
٥- ثمار القلوب في المضاف والمنسوب ، لأبي منصور عبد الملك بن محمد الثعالبي ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار نهضة مصر ، القاهرة ، ١٩٦٥م.
٦- الجامع في أخبار أبي العلاء وآثاره (ثلاثة اجزاء) ، محمد سليم الجندي ، علّق عليه عبد الهادي هاشم ، دار صادر ، بيروت ، ط٢ ، ١٤١٢هـ-١٩٩٢م.
٧- الحيوان ، لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ، تحقيق وشرح : عبد السلام محمد هارون ، شركة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ، مصر ، ط٢ ، ١٩٦٧م.
٨- ديوان لزوم ما لا يلزم (اللزوميات) ، لأبي العلاء أحمد بن عبد الله بن سليمان التنوخي المعري ، برواية الإمام التبريزي ، ومراجعة الإمام أبي منصور ابن الجواليقي ، تقديم وشرح وفهرست د. وحيد كبابة وحسن حمد ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان ، ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م.
٩- الذات والآخر ، محمد شوقي الزين ، منشورات الاختلاف ، الجزائر العاصمة ، الجزائر ، ط١ ، ١٤٣٣هـ-٢٠١٢م.
١٠- رجعة أبي العلاء، الأستاذ عباس محمود العقاد ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان ، ط٣ ، ١٩٦٧م.
١١- رسائل أبي العلاء المعري ، تحقيق وشرح وضبط : حسان الطيبي ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ٢٠٠٥م.
١٢- الرمز والرمزية في الشعر المعاصر ، د. محمد فتوح احمد ، دتار المعارف ، مصر ، ط٣ ، ١٩٨٤م.
١٣- شروح سقط الزند ، تحقيق الأساتذة : مصطفى السقا ، عبد الرحيم محمود ، وعبد السلام محمد هارون ، وإبراهيم الأبياري ، وحامد عبد المجيد ، بإشراف الدكتور طه حسين ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ط٣ ، (الأجزاء : ٢ ، ٣ ، ٤) ١٤٠٨هـ-١٩٨٧م.
١٤- عصر الدول والإمارات (الشام) ، د. شوقي ضيف ، دار المعارف ، مصر ، ط٣ ، ١٩٩٥م.
١٥- فلسفة الجمال ، محمد علي أبو ريان ، دار المعرفة ، اسكندرية ، مصر ، ١٩٦٤م.
١٦- الكامل في التاريخ ، ابن الاثير ، راجعه وصححه د. محمد يوسف الدقاق ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م.
١٧- لسان العرب، للإمام ابن منظور ، اعتنى بتصحيحه ، أمين محمد عبد الوهاب ، ومحمد الصادق العبيدي ، دار إحياء التراث العربي ، ومؤسسة التاريخ العربي ، بيروت ، لبنان ، ط٣ ، ١٤١٩هـ-١٩٩٩م.
١٨- المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها ، عبد الله الطيّب ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، ط٢ ، ١٩٧٠م.

١٩- المزهر في علوم اللغة وأنواعها ، للعلامة عبد الرحمن جلال الدين السيوطي ، شرحه وضبطه وصححه وعنون موضوعاته وعلق حواشيه، محمد احمد جاد المولى ، ومحمد أبو الفضل إبراهيم ، وعلي محمد البجاوي ، دار إحياء الكتب العربية (عيسى البابي الحلبي وشركاه) ، ط٤ ، ١٣٧٨هـ-١٩٥٨م.

٢٠- المستطرف في كل فن مستظرف ، لشهاب الدين محمد بن أحمد الابشيهي ، منشورات مؤسسة الاعلمي للمطبوعات ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م.

٢١- معجم البلدان ، ياقوت الحموي ، تحقيق : فريد عبد العزيز الجندي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، (د.ت).

٢٢- المعري ذلك المجهول (رحلة في فكره وعالمه النفسي)، الشيخ عبد الله العلايلي، دار الجديد ، بيروت ، لبنان ، ط٣ ، ١٩٩٥م.

٢٣-نقد الشعر في المنظور النفسي، د. ريكان إبراهيم ، دار الشؤون الثقافية العامة ، وزارة الثقافة والإعلام ، بغداد ، ط١ ، ١٩٨٩م.

٢٤- نقد الشعر ، قدامة بن جعفر ، تحقيق : كمال مصطفى ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط٣ ، ١٩٧٩م.